الباب الثانى

التمسك بأهل البيت عليهم السلام

الرسول صلى الله عليه وآله نعى نفسه للمسلمين فى حجة الوداع وعلم بدنو أجله وأنه مفارق أمته إلى الرفيق الأعلى فكيف يترك الأمة من بعده؟

هل يتركها عرضة للفتن والأهواء؟

أم يرسم لها الطريق الذى يجب أن تسلكه من بعده ويوصيها بما يضمن استمرار المسيرة دون زيغ أو انحراف؟

وهو الحريص على أمته كما وصفه الله تعالى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم "[1] ولذلك وجدنا الرسول صلى الله عليه وآله يوصى الأمة أمام ذلك الحشد الهائل من الصحابة والذى لم يحدث له مثيل من قبل فى تاريخ الإسلام. أمام ذلك الحشد العظيم أعلن الرسول صلى الله عليه وآله وصيته حتى تشهدها الأغلبية الساحقة من المسلمين وليترك الأمة من بعده على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك "ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة "[2] حيث قال صلى الله عليه وآله: "إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وعترتى أهل بيتى ولن يتفرقا حتى يردا علىّ الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما " (يقول ابن منظور فى لسان العرب: وقال ابو عبيد وغيره عترة الرجل واسرته وفصيلته رهطه الأدنون وقال ابن الأعرابى العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه قال فعترة النبى صلى الله عليه وآله ولد فاطمة البتول عليها السلام [3] فهل حقا قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الحديث؟ ومتى قاله؟

وفى أى المناسبات؟ ولمن يوجه الخطاب فيه؟ وإلام يدعو هذا الحديث؟

---

١ ـ (التوبة١٢٨)

٢ ـ (الأنفال٤٢)

٣ ـ (لسان العرب ج١٠ ـ ٢٥)

يقول ابن حجر الهيثمى فى صواعقه المحرقة :إن لحديث التمسك بالكتاب والعترة طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا وفى بعض الطرق أنه قال ذلك فى حجة الوداع بعرفة وفى أخرى أنه قاله بالمدينة فى مرضه الذي توفى فيه وقد امتلات الحجرة بأصحابه وفى ثالثة أنه قال ذلك بغدير خم [1]

وسوف نستعرض عزيزى القارىء بعض طرق هذا الحديث روى الترمذي في سننه [2] عن جابر بن عبد الله قال رأيت رسول الله ﷺ فى حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول " يا أيها الناس إنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى "

واخرج أحمد وابو يعلى عن سعيد الخدرى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " إنى أوشك أن أدعى فأجيب وإنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى وإن اللطيف الخبير خبرنى أنهما لن يتفرقا حتى يردا علىّ الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما "

واخرج البزار عن على رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " إنى مقبوض وإنى قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتى وإنكم لن تضلوا بعدهما "

وأخرج الترمذى وحسّنه عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "ياأيها الناس إنى تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى "

وأخرج أحمد والطبرانى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "إنى تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض."

وأخرج الترمذى وحسنه والحاكم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا

١ـ (الصواعق المحرقة ٢ج ـ ٤٤٠)
٢ـ (سنن الترمذى ج٥ ـ ٣٢٨)

بعدى كتاب الله وعترتى أهل بيتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما ".

وروى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال " أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن ياتى رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال ﷺ: وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكّركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى "[1] ولمزيد من مصادر هذا الحديث يمكن مراجعة مسند أحمد ـ مجمع الزوائد للهيثمى ـ كتاب السنة لابن أبى عاصم ـ السنن الكبرى للنسائى ـ مسند أبى يعلى الموصلى ـ الطبرانى فى معاجمه الصغير والأوسط والكبير ـ الجامع الصغير للسيوطى

يتضح لك عزيزى القارىء أن هذا الحديث يمثل الوصية الأخيرة لرسول الله ﷺ لأمته أعلنها فى أواخر حياته وعند دنو أجله فهو تارة يقول " إنى أوشك أن أدعى فأجيب " وأخرى يقول " إنى مقبوض " وثالثة يقول " فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب."

كانت هذه الوصية الخالدة أمام ذلك الحشد الهائل من الصحابة والذى لم يحدث من قبل فى تاريخ الإسلام أعلنها الرسول ﷺ فى حجة الوداع وكررها فى غدير خم (مكان بين مكة والمدينة أوقف فيه الرسول ﷺ المسلمين وخطب فيهم) فكانت وصية عامة للأمة والكثير من الصحابة الذين شهدوها لم يروا الرسول ﷺ بعد ذلك حيث تفرقوا فى الآفاق فكانت هذه الوصية عند الكثير منهم آخر ما سمعوه منه ﷺ. فهى إذن وصية عامة لأفراد الأمة جميعا وبلا إستثناء وليست فردية أو شخصية كالكثير من الوصايا التى كان يوصى بها الرسول ﷺ آحاد المسلمين.

---

١ ـ (صحيح مسلم ج٧ ـ ١٢٢)

فإلى أى شىء تدعو هذه الوصية؟

إذا تاملنا فى هذه الأحاديث نجدها تدعو إلى:

١ـ التمسك بكتاب الله والعترة.

٢ـ أن التمسك بالكتاب والعترة معا أمان من الضلال

٣ـ أن القرآن والعترة لا يفترقان

أولاً: التمسك بالكتاب والعترة

الرسول ﷺ يوصينا بالتمسك بالكتاب والعترة فما معنى التمسك؟

هل التمسك يعنى الحب؟

هل إذا أحب المرء القرآن صار متمسكا به؟

أم أن التمسك يعنى الاتباع والالتزام؟ فحينما نقول إن أحدا متمسك بالقرآن فإننا نعنى أنه يتبعه ويعمل بما فيه ويلتزم به. وإذا اتبع المرء شيئا أو انسانا آخر صار المتبوع إماما للتابع فحينما أتبع القرآن فإنى أجعله أمامى أسير خلفه أى أننى أجعل القرآن إمامًا لى أأتم به وهذا يعنى أن القرآن إمامٌ للأمة تماما كما جعل الله تعالى كتاب موسى عليه السلام إماما حيث قال الله تعالى: " ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة "[1].

فإذا كان الحديث قد جعل القرآن إماما للأمة فإنه بالتالى يجعل العترة إماما أى أن أئمة الأمة لابد وان تكون من العترة وليس من غيرهم ولا يصح أن يتقدم أحد من الأمة على العترة أو أن يصير إماما لها وإلا فكيف يكون فى هذه الحالة متمسكا بالعترة وآخذا بوصية الرسول ﷺ والذى يقول أيضا عن أهل بيته: "فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم "[2]

١ـ (هود١٧ والأحقاف١٢).

١ـ (أخرجه الطبرانى).

فالعترة يجب أن تكون متبوعة من جميع الأمة بلا استثناء وليست تابعة لأى أحد مهما كان.

هكذا يوصى الرسول ﷺ أمته فالائمة لابد وأن تكون من العترة ولذلك فإن الله تعالى قد أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا وعصمهم حتى يكونوا مؤهلين لهذه الإمامة دون غيرهم من أفراد الأمة.

ولكن هل يعنى أن الأئمة من العترة أن جميع ذرية الرسول ﷺ أئمة كما يظن البعض؟

أم أنه ﷺ قد حدد عددا معينا من عترته ليكونوا أئمة؟

إذا بحثنا فى أحاديث رسول الله ﷺ التى تتحدث عن عدد الأئمة أو الخلفاء نجد هذه الأحاديث قد حددت اثنا عشر إماما أو خليفة فقد روى مسلم عن جابر بن سمرة قال دخلت مع أبى على النبى ﷺ فسمعته يقول " إن هذا الامر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة " قال ثم تكلم بكلام خفى على فقلت لأبى ما قال؟ قال كلهم من قريش. وعنه أيضا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا " ثم تكلم النبى ﷺ بكلمة خفيت على فسالت أبى ماذا قال الرسول ﷺ فقال كلهم من قريش. وعنه أيضا قال انطلقت إلى رسول الله ﷺ ومعى أبى فسمعته يقول:" لا يزال هذا الدين عزيزا منيعا إلى اثنى عشر خليفة " فقال كلمة صمنيها الناس فقلت لأبى ما قال قال كلهم من قريش[1].

وأخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "يكون اثنا عشر أميرا " فقال كلمة لم أسمعها فقال أبى إنه قال "كلهم من قريش "[2]. وفى كنز العمال عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "لن يزال هذا الدين قائما إلى اثنا عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها "[3]. وروى أحمد والحاكم

٢ـ(صحيح مسلم بشرح النووى ج١٢ـ١٩٣ـ١٩٤)

١ـ (كنز العمال١٣ـ٢٧)

٢ـ(البخارى ج٩ـ٢٥٠)

وغيرهم واللفظ للأول عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود يقرئنا القرآن فساله رجل فقال يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله ما سألنى عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك قال سألناه فقال " اثنا عشر خليفة عدة نقباء بنى إسرائيل "[1].

فإذا كان حديث العترة أو الثقلين يبيّن أن الأئمة لابد و أن تكون من أهل البيت وإذا كانت الأحاديث الأخرى تبيّن أن عدد الأئمة أو الخلفاء اثنا عشر فمعنى ذلك أن هناك لهذه الأمة اثنى عشر إماما أو خليفة كلهم من أهل البيت عليهم السلام. إن بعض روايات حديث كتاب الله وعترتى جاءت بلفظ خليفة فقد أخرج أحمد والطبرانى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إنى تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض".

فالقرآن خليفة والعترة أيضا خليفة وبالتالى فالخلفاء الاثنا عشر لايكونون إلا من عترة رسول الله ﷺ وهؤلاء الأئمة أو الخلفاء هم:

١ـ الإمام على بن ابى طالب عليه السلام (١٠ قبل البعثة ـ ٤٠ هجرية)

٢ـ الإمام الحسن بن على بن ابى طالب عليه السلام (٣ـ ٥٠ هجرية)

٣ـ الإمام الحسين بن على بن ابى طالب عليه السلام (٤ـ ٦١ هجرية)

٤ـ الإمام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام (٣٨ـ ٩٥ هجرية)

٥ـ الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام (٥٧ـ ١١٤ هجرية)

٦ـ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (٨٠ـ ١٤٨هجرية)

٧ـ الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام (١٢٨ـ ١٨٣ هجرية)

٨ـ الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام (١٤٨ـ ٢٠٣ هجرية)

٩ـ الإمام محمد بن على الجواد عليه السلام (١٩٥ـ ٢٢٠ هجرية)

١ـ (مسند أحمد ج١ـ ٣٨٩ ـ الترمذى حديث ٢٢٢٣ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٣ـ ٦١٨)

١٠ـ الإمام على بن محمد الهادى عليه السلام (٢١٢ـ ٢٥٤ هجرية)

١١ـ الإمام الحسن بن على العسكرى عليه السلام (٢٣٢ـ ٢٦٠ هجرية)

١٢ـ الإمام محمد بن الحسن العسكرى المهدى المنتظر عليه السلام ولد عام ٢٥٥ هجرية وهو حى غائب وهو الذى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما عجل الله فرجه الشريف هؤلاء هم أئمة أهل البيت الاثنا عشر عليهم السلام فهل ذكر الرسول صلى الله عليه وآله أسماءهم فى أحاديثه النبوية الشريفة؟

إن الأحاديث النبوية المروية عن طريق أهل البيت عليهم السلام قد ذكرت أسماءهم بينما الأحاديث المروية عن طريق أهل السنة قد ذكرت العدد دون الأسماء.فهل حقيقة أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يذكر أسماءهم؟

أم أن هناك أيادى خفية رفعت أسماء الأئمة من أحاديث أهل السنة وأخفتها حتى لا تتعرف عليهم الأمة؟

وهل يمكن أن يهمل الرسول صلى الله عليه وآله مثل هذه القضية الهامة؟

فمن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وآله قد أخبر أصحابه بما هو كائن إلى قيام الساعة وأخبرهم عن كل صاحب فتنة عن اسمه واسم أبيه ومن أين هو كما بين ذلك حذيفة بن اليمان حيث قال ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة انسان إلا ولوشئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة كل ذلك مما علمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا بأعيانها؟ قال أو أشباهها يعرفها الفقهاء أو قال العلماء إنكم كنتم تسألون رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخير وأسأله عن الشر وتسألونه عما كان وأسأله عما يكون[1] وروى مسلم عن حذيفة بن اليمان أنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله مقاما ما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وإنه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه[2]. وعن عمر بن الخطاب قال

١ـ (كنز العمالج ٣١٢٩٣)

١ـ (صحيح مسلم بشرح النووى ج١٨ـ ١٧)

صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصّلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصّلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا[1]. فهل يعقل أن الرسول ﷺ يحدث أصحابه عما هو كائن إلى قيام الساعة وعن أسماء أصحاب الفتن على كثرتهم بينما لا يذكر أسماء الأئمة على قلة عددهم والأمة محتاجة الى معرفتهم لأن الرسول ﷺ قال: " من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية "[2] وقال أيضا" ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية "[3].

وهل يعقل أن الرسول ﷺ يطلب من الأمة أن تتمسك بشيء مبهم؟

فإذا لم يكن هؤلاء الأئمة المذكورة أسماؤهم هم الأئمة الاثنا عشر الذين يقصدهم الرسول ﷺ فى أحاديثه فمن غيرهم؟

وهل هناك اثنا عشر إماما غيرهم يمكن أن تنطبق عليهم مواصفات الإمامة والتى حددها الله تعالى فى قوله: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين "[4]. فالإمامة لا تنعقد لظالم ابتداء والظلم أنواع فهناك ظلم الانسان لنفسه وهناك ظلم الإنسان لغيره من الخلق وهناك ظلم الانسان لربه بإرتكاب المعاصى فأى نوع من الظلم يقع فيه الإنسان يجعله غير صالح لأن يكون إماما. ولهذا فإن الإمام هو الذى عصمه الله تعالى من الوقوع فى أى نوع من أنواع الظلم وهذه الصفة لم تتوفر إلا فى أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث لم يقل أحد مطلقا بعصمة غيرهم ممن تولى الخلافة.فإذا لم يكن هناك اثنا عشر إماما بهذه المواصفات إلا أئمة اهل البيت عليهم السلام فلماذا لا نعترف بأنهم الأئمة والخلفاء الذين عناهم الرسول ﷺ فى أحاديثه خاصة وأننا لن نجد اثنى عشر إماما

٢_(صحيح مسلم بشرح النووى ج١٨_ ١٨)
٣_(ينابيع المودة _١١٧)
٤_(صحيح مسلم بشرح النووى ج١٢_٢٢٩)
٥_(البقرة١٢٤)

غيرهم فلقد حاول الكثير أن يجدوا اثنى عشر إماما غيرهم ولكن محاولاتهم فشلت ووصلت إلى طريق مسدود يقول السيوطى وقد وجد من الاثنى عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن العزيز هؤلاء ثمانية ويحتمل أن يضم إليهم المهدى العباسى لأنه فى العباسيين كعمر بن العزيز فى الأمويين والطاهر العباسى أيضا لما أوتيه من العدل ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدى من أهل البيت [1] ويقول ابن حجر العسقلانى وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة ولابد من تمام العدة قبل قيام الساعة[2]. وهكذا فإن عدد الأئمة الإثنى عشر يمثل لغزا لا جواب له عند غير مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وشىء آخر نلاحظه فى الأحاديث التى تحدثت عن عدد الأئمة وهو أن الأئمة كلهم من قريش فأى بطن من بطون قريش أطهر وأزكى من بنى هاشم الذين إصطفاهم الله تعالى حيث قال الرسول صلى الله عليه وآله " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم "[3] فإذا كان بنو هاشم هم صفوة الله تعالى من قريش فهل هناك أفضل منهم ليكونوا أئمة لهذه الأمة؟ وقد بيّن الإمام على عليه السلام من أى بطن من بطون قريش تكون الأئمة حيث قال أن الأئمة من قريش غرسوا فى هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا يصلح الولاة من غيرهم[4].

ولقد حذّر الرسول صلى الله عليه وآله من بطون أخرى من قريش فقد روى مسلم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله قال: " يُهلك أمتى هذا الحى من قريش "[5] وروى البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله قال " هلكة أمتى على يدى غلمة من قريش "[6] وقال ابن حجر وهو عند أحمد والنسائى " إن فساد

١ـ (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٢)

٢ـ (فتح البارى ١٦ـ ٣٤١)

٣ـ (أخرجه مسلم فى الفضائل ح ٢٢٧٦ والترمذى ج ٣٣٠٦ ج٥ـ ٤٠٠ وأحمد فى المسند ١٦٥٣٨ والبيهقى فى الشعب ١٣٩١ وابن حبان ٦٢٤٢ و٦٣٣٣)

٤ـ (نهج البلاغة الخطبة ١٤٢)

١ـ (فتح البارى ج١٦ـ ١١٥)

٢ـ (صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ـ ٣٩)

أمتى على يدى غلمة سفهاء من قريش " فهل يصلح هؤلاء الذين حذّر منهم الرسول ﷺ أن يكونوا أئمة وخلفاء للأمة؟

ولكن قد يقول قائل إن نظام الإمامة بهذه الطريقة إنما هو نظام وراثى لا يقره الإسلام فنقول ليس الأمر كذلك حيث أن النظام الوراثى يجعل للوارث الحق التلقائى فى وراثة الأمر وهذا غير موجود فى نظام الإمامة لأن تنصيب الأئمة إنما هو نص من الله تعالى أبلغه رسوله ﷺ وفى هذا النظام قد يخلف الابن أباه فى الإمامة لا على سبيل الوراثة وإنما بالنص الإلهى كما فى نظام النبوة والتى لا تعتبر نظاما وراثيا وإلا فهل نعتبر النبوة نظاما وراثيا عندما جعل الله تعالى اسماعيل واسحاق أبناء ابراهيم أنبياء؟ وكذلك حينما جعل يعقوب ابن اسحاق ويوسف بن يعقوب وسليمان بن داؤود أنبياء ؟ لم يقل أحد مطلقا أن النبوة نظام وراثى على الرغم من أن الابن صار نبيا بعد أبيه لأن النبوة لم تكن حقا للابن يرثه تلقائيا وإنما كانت النبوة اصطفاءا واختيارا إلهيا كما قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] ويقول أيضا ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2] ويقول: " ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾[3]

فكما أن الله تعالى يصطفى الرسل فكذلك يصطفى الأئمة فالإمامة اصطفاء إلهى وليست وراثة وذرية محمد ﷺ خير ذرية ولذلك فإن الله تعالى اصطفى منها الأئمة كما اصطفى من ذرية الأنبياء السابقين وقد يستغرب الكثير من المسلمين أسماء معظم هؤلاء الأئمة حيث لم يسمعوا بهم من قبل على الرغم من مكانتهم العالية ومنزلتهم السامية وما ذلك إلا نتيجة طبيعية للحملة القاسية التى شنت ضد أهل

٣ـ (آل عمران ٣٣ ـ ٣٤)
٤ـ (الحج ٧٥)
٥ـ (العنكبوت ٢٧)

البيت عليهم السلام والتى كانت تهدف إلى القضاء عليهم وإقصائهم تماما من حياة المسلمين وفى نفس الوقت ملأت الآذان بأسماء شخصيات أخرى لا تكاد تدنو من هؤلاء ولا يمكن أن يقارنوا بهم على الإطلاق.

فعلى سبيل المثال فإن الإمام السادس من أئمة أهل البيت وهو الإمام جعفر الصادق عليه السلام قد تتلمذ على يديه أبو حنيفة النعمان الذى قال عنه: لولا السنتان لهلك النعمان مشيرا بذلك إلى السنتين اللتين صحب فيهما الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأيضا قال عنه مالك بن أنس: ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد. وتتلمذ أيضا على يدى الإمام جعفر الصادق عليه السلام الألوف من العلماء وأسس فى المدينة المنورة أول جامعة اسلامية . هذا الإمام العظيم مازال يجهله الكثير من المسلمين وربما لم يسمعوا بإسمه على الإطلاق. ومما يبين بعضا من فضل ومنزلة هذا الإمام العظيم مارواه الذهبى فى سير أعلام النبلاء عن ابن عقدة الحافظ عن حسن بن زياد سمعت أبا حنيفة وسئل من أفقه من رأيت؟ قال مارأيت أحدا أفقه من جعفر بن محمد (يقصد الإمام جعفر عليه السلام) لما أقدمه المنصور (أى أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى) من الحيرة بعث إلى فقال يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهىء له من مسائلك الصعاب فهيأت له أربعين مسألة ثم أتيت أبا جعفر (المنصور العباسى) وجعفر جالس عن يمينه فلما بصرت بهما دخلنى لجعفر من الهيبة ما لا يدخلنى لأبى جعفر فسلمت وأذن لى فجلست ثم قال أبو جعفر لأبى حنيفة يا أبا حنيفة هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله (أى الإمام الصادق عليه السلام) فابتدأت أسأله فكان يقول فى المسألة أنتم تقولون فيها كذا وكذا وأهل المدينة يقولون كذا وكذا ونحن نقول كذا وكذا فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة وربما خالفنا جميعا حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرم فيها مسألة ثم قال أبو حنيفة أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم بإختلاف الناس [1].

---

١ ـ (سير اعلام النبلاء ج٦ ـ ٤٦٧)

وتاكيدا للوصية بالكتاب والعترة وتطبيقا لها قام رسول الله ﷺ بتنصيب الإمام على عليه السلام فى غدير خم إماما للأمة فبعد رجوعه من حجة الوداع وفى طريق عودته إلى المدينة المنورة نزل غدير خم وأمر بدوحات فقممن ثم قال: " كأنى دعيت فأجبت إنى قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتى فأنظروا كيف تخلفونى فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" ثم قال " إن الله عز وجل مولاى وأنا مولى كل مؤمن " ثم أخذ بيد على فقال " من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه [1].

وفى ذخائر العقبى للمحب الطبرى عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كنا عند النبى ﷺ فى سفر فنزلنا بغدير خم فنودى فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة فصّلى الظهر وأخذ بيد على وقال: " اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئا لك يا ابن أبى طالب اصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة أخرجه أحمد فى مسنده وزاد بعد قوله وعاد من عاداه وأنصر من نصره وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه. يقول ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى وأما حديث من كنت مولاه فعلى مولاه فقد أخرجه الترمذى والنسائى وهو كثير الطرق جدا وقد استوعبها ابن عقدة فى كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح وحسان فقد روينا عن الإمام أحمد قال ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن على بن أبى طالب [2].

إن الرسول ﷺ قد أعلن هذا البيان فى الطريق بين مكة والمدينة حين عودته من الحج فى ذلك المكان وفى وقت الظهيرة حيث اشتد لهيب الشمس ولم ينتظر حتى عودته إلى المدينة المنورة فلماذا أوقف الرسول ﷺ ذلك الحشد العظيم من المسلمين فى ذلك المكان وفى ذلك التوقيت؟ ألايدل فعل الرسول ﷺ على أن هناك أمرا هاما وطارئا

٢ـ (اخرجه الحاكم ج٣ـ١٠٩ وصححه الذهبى)

٣ـ (فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ج٢ـ٩٣).

قد حدث وهذا الأمر لا يحتمل التأجيل حتى عودته إلى المدينة؟ وهذا الأمر يريد الرسول ﷺ ابلاغه إلى ذلك الحشد العظيم من المسلمين قبل أن يتفرقوا فى الآفاق وحتى يشهده أكبر عدد منهم مما يدل على أهميته وخطورته وتأثيره الكبير فى مسيرة الأمة ولو كا ن أمرا عاديا وغير هام وغير مؤثر لأخره الرسول ﷺ لحين عودته إلى المدينة المنورة والرسول ﷺ لا يتخذ قرارات ارتجالية لا قيمة لها بل هو متبع لأمر ربه فى كل ما يفعله "إن أتبع إلا ما يوحى إلى "[1]

فماذا كان ذلك الأمر الهام والطارىء؟ لم يكن إلا نزول هذه الآية " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس "[2]

إنه أمر من الله تعالى لرسوله ﷺ أن يبلغ ما أنزل وليس ما سينزل ثم إن الأمر المراد تبليغه هام حيث يعدل تبليغه تبليغ الرسالة جميعا " وإن لم تفعل فما بلغت رسالته " وكأن الرسول ﷺ كان يتحرج من تبلبغه فالله تعالى يطمئنه بقوله " والله يعصمك من الناس ". إنه أمر صعب يكاد يقترب من التهديد من الله تعالى لرسوله ﷺ والذى سيبلغه لا محالة لأنه لم يكتم من الرسالة شيئا قط فما هو الأمر الذى أنزل والمراد تبليغه فى نهاية الرسالة وحين نزول سورة المائدة والتى تعد من أواخر سور القرآن نزولا ؟ حيث اخرج السيوطى فى الدر المنثور عن سعيد بن منصور وابن المنذر عن أبى ميسرة قال آخر سورة أنزلت سورة المائدة [3].

فهل كان ذلك الأمر الرسالة جميعا ؟ أم كان أمرا محددا ومعينا؟ لو كان الرسالة جميعا لجاز ذلك فى أول البعثة ولكان الأمر بلغ ما سينزل كما أن قوله تعالى " فما بلغت رسالته " لا يتفق أن يكون الأمر الرسالة جميعا لأن ذلك نوع من التكرار فلا يبقى إلا أن يكون ذلك

١ـ (الأحقاف ٩)

٢ـ (المائدة ٦٧)

١ـ(الدر المنثور ج٢ـ٢٥٢)

الأمـر أمـرا محددا فما هو ذلك الأمر المحدد الـذى جاء فى آخر البعثة والذى تعنيه الآية؟ هل هو الصلاة أم الزكاة أم الحج أم الصوم أم.....؟ كل ذلـك قـد بلّغه الرسـول ﷺ ولم يكن فى تبليغ هذه الأشـياء حرج عليه. فما الأمر الذى كان الرسول ﷺ يتحرج من تبليغه أو يتخوف منه على رسـالته؟ وهل كان ذلك الأمر يخص المشـركين وأهل الكتاب أم يخص المسلمين؟ أما المشركون فقد تمت هزيمتهم وتم فتح مكة واستسـلام قريـش وكذلك فقد تمـت هزيمة هوازن وثقيـف فى حنين ولم تبق للمشـركين فى الجزيرة العربية شوكة تهدد الإسلام ودعوته. وأمـا اليهـود فقد انتصر عليهم الرسـول ﷺ وتـم إجلاؤهم إلى أطراف الجزيرة العربية والنصارى لم يكونوا يشكلون خطرا على الإسلام بل إن الرسـول ﷺ قد ذهب لغزوهم فى تبوك وأيضا فإن الرسـول ﷺ قد بلّـغ الآيات المتعلقة بأهـل الكتاب والتى قال فيها القـران عنهم أقوالاً شـديدة فما كان الرسـول ﷺ يتحرج من هؤلاء ولا هؤلاء ولم يكونوا يمثلون خطرا على الاسلام ودعوته فهل كان هناك أمر يتحرج الرسول ﷺ من تبليغه للمسـلمين ويتخوف أن يطعنوا بسـببه فى رسـالته؟ روى الواحدى فى أسباب النزول عن أبى سعيد الخدرى قال نزلت هذه الآية" يا أيها الرسـول بلغ ما أنزل إليك من ربك" يوم غدير خم فى على بن ابى طالـب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [1] إذن كان هذا الأمـر هو إمامة على بن أبى طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ وتنصيبـه إمامـا للأمـة من بعد رسـول الله ﷺ والذى كان يخشـى أن يقول البعض إنه جامل ابن عمه فيطعنون بذلك فى رسـالته ولكن الله تعالـى قد عصم منهم الرسـول ﷺ فلم يتمكنوا مـن تنفيذ ما يريدون. وامتثـل الرسـول ﷺ لأمر ربه ونصب علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ فـى غدير خم وليا لأمر المسـلمين من بعده فقد أخرج النسائى فى الخصائص عن زيد بن أرقم قـال لمـا رجـع النبى ﷺ من حجة الـوداع ونزل غدير خـم أمر بدوحات فقممن ثم قال" كأنى دعيت فأجبت وإنى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتى أهل بيتى فانظروا كيف تخلفونى

٢ـ (أسباب النزول للواحدى ص ١٥٠)

فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض" ثم قال" إن الله مولاى وأنا ولى كل مؤمن ثم أخذ بيد على فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"[1].

وأخرج أحمد فى مسنده عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال كنا عند النبى ﷺ فى سفر فنزلنا بغدير خم فنودى فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة فصّلى الظهر وأخذ بيد علىٍ وقال " اللهم من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" قال فلقيه عمر بعد ذلك فقال هنيئا لك يا بن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة[2] وروى الحاكم عن زيد بن أرقم قال لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال " كأنى دعيت فأجبت إنى قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الأخر كتاب الله تعالى وعترتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض" ثم قال" إن الله عز وجل مولاى وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد على فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه....."[3] وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خمًا بين مكة والمدينة فحمد الله ووعظ وذكّر ثم قال " أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن ياتى رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله.. ثم قال وأهل بيتى "[4].

إن البعض يحاول تفريغ هذه الحادثة من محتواها وقيمتها رغم اعترافهم بصحة الأحاديث التى وردت فيها فيقولون إن المولى فى الحديث معناه المحب والناصر. وياله من تأويل لا معنى له فهل يعقل أن الرسول ﷺ يوقف ذلك الحشد الهائل من المسلمين تحت لهيب الشمس المحرقة ولا ينتظر عودته الى المدينة ليبلغهم أن عليًا ناصرهم ومحبهم

١ـ (النسائى فى الخصائص ٣٩ـ ٤٠ ـ ٤١)

٢ـ (مسند احمد ج٤ ـ ٢٨١)

٣ـ (المستدرك للحاكم ج٣ـ١٠٩ وصححه الذهبى فى تلخيصه)

٤ ـ (صحيح مسلم ج٧ ـ ١٢٢ـ١٢٣)

وهو أمر من البديهيات والمسلمات لأن الله تعالى وصف المؤمنين بقوله " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض "[1]. فهل يستدعى ذلك المعنى أن يوقف الرسول ﷺ ذلك الحشد الهائل من الصحابة ويقوم فيهم خطيبا فى ذلك الحر الشديد وهل يليق ذلك الفعل برسول الله ﷺ ويتناسب مع مكانته ومنزلته وهو الذى لا يفعل إلا ما يأمره الله ويوحى به إليه " إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ "[2]؟

الرسول ﷺ يقول " من كنت مولاه " فأى ولاية تلك التى كانت لرسول الله ﷺ؟ ألم تكن ولاية الأمر والأحقية بالتصرف فى أمور المسلمين؟ فنفس تلك الولاية التى كانت لرسول الله ﷺ هى التى جعلها لعلى عليه السلام وهذا المعنى يناسب ما حدث فى غدير خم فولاية الأمر وتنصيب إمام للأمة أمر هام وخطير يحتاج أن يوقف الرسول ﷺ من أجله ذلك الحشد فى ذلك الوقت ويبلغهم به قبل أن يتفرق المسلمون فى الآفاق. ثم ما معنى قول الرسول ﷺ "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله "ألا يدل هذا القول على أن هناك أمرا ستنقسم فيه الأمة تجاه الإمام على عليه السلام فمنهم من يواليه ومنهم من يعاديه ومنهم من ينصره ومنهم من يخذله وليس هذا الأمر إلا إمامة على للأمة وقيادته لها لا كما يزعم البعض أن الرسول ﷺ أراد أن يبلغ الأمة أن عليا محبهم وناصرهم فهذا المعنى لا يعترض عليه أحد ولا يتطلب موالاة ومعاداة ونصرا وخذلانا.

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يعرف فيها المسلمون أن عليا وليهم وإمامهم حيث عرفوا ذلك من قبل حينما نزلت الآية الكريمة " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون "[3] فقد روى أبو اسحاق الثعلبى فى تفسيره عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن عباية بن ربعي قال بينا عبد الله بن

١ـ (التوبة ـ ٧١)

٢ـ (الأحقاف٩)

٣ـ (المائدة ـ ٥٥)

عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لايقول قال رسول الله إلا قال الرجل قال رسول الله فقال ابن عباس سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال يا أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرّفه بنفسى أنا جندب ابن جنادة البدرى أبو ذر الغفارى سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا فصمتا ورأيته بهاتين وإلا فعميتا يقول " علىّ قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله " أما إنى صليت مع رسول الله ﷺ يوما من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئا فرفع السائل يده الى السماء وهو يقول اللهم أشهد أنى سألت فى مسجد رسول الله فلم يعطنى أحد شيئا وكان علىّ راكعا فأومأ بخنصره اليمنى إليه وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين رسول الله ﷺ فلما فرغ النبى ﷺ رفع رأسه الى السماء وقال اللهم إن أخى موسى سألك فقال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى فأنزلت عليه قرآنا ناطقا " سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما " اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واجعل لى وزيرا من أهلى عليًا اشدد به ظهرى " قال أبو ذر فوالله ما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى نزل عليه جبريل من عند الله فقال يا محمد اقرأ قال ما أقرأ قال اقرأ " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " وروى أبو بكر الرازى فى كتاب أحكام القرآن والطبرى أنها نزلت فى على حين تصدق بخاتمه وهو راكع وهو قول مجاهد والسدى وجميع علماء أهل البيت عليهم السلام[1]

---

١ ـ (راجع أيضا الدر المنثور للسيوطى ج٢ ـ ٢٩٣ ـ فتح القدير للشوكانى ج٢ ـ ٥٣ ـ الكشاف للزمخشرى ج١ ـ ٦٤٩ ـ تفسير الطبرى ج٦ ـ ٢٨٨ ـ القرطبى ج٦ ـ ٢١٩ ـ اسباب النزول للواحدى ١٤٨ ـ تذكرة الخواص للسبط بن الجوزى ١٨، ٢٨٠ ـ تفسير الفخر الرازى ج١٢ ـ ٢٦ ـ مجمع الزوائد ج٧ ـ ١٧)

ولما نزلت الآية أنشأ حسان بن ثابت يقول فى ذلك:

أبا حسن تفديك نفسى ومهجتى وكل بطىء فى الهدى ومسارع
أيذهب مدحيك المحبر ضائعا وما المدح فى جنب الإله بضائع
فأنت الذى أعطيت إذ كنت راكعا زكاة فدتك النفس يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية وثبّتها مثنى كتاب الشرائع

فالولى هو الذى يلى تدبير الأمر يقال فلان ولى المرأة إذا كان يملك تدبير نكاحها وولى الدم من كان إليه المطالبة بالقود والسلطان ولى أمر الرعية. قال الكميت يمدح عليا:

ونعم ولى الأمر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب

فمعنى الولى فى الآية من له الولاية على الخلق والقيام بأمورهم وتجب طاعته عليهم والذى يدل على ذلك أن لفظة إنما تقتضى التخصيص ونفى الحكم عما عدا المذكور كما يقولون إنما الفصاحة للجاهلية يعنون نفى الفصاحة عن غيرهم. وإذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظة الولى على الموالاة فى الدين والمحبة لأنه لا تخصيص فى هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن والمؤمنون كلهم مشاركون فى هذا المعنى كما قال سبحانه " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض "[1]. وإذا لم يجز حمله على ذلك لم يبق إلا الوجه الآخر. ووجه آخر فى الدلالة على أن الولاية فى الآية مختصة وليست عامة أنه سبحانه وتعالى قال " إنما وليكم الله " فخاطب جميع المؤمنين ودخل فى الخطاب النبى ﷺ وغيره ثم قال " ورسوله " فأخرج النبى ﷺ من جملتهم ثم قال " والذين آمنوا " فوجب أن يكون الذى خوطب بالآية غير الذى جعلت له الولاية وإلا أدى ذلك إلى أن يكون كل واحد من المؤمنين ولى نفسه وذلك محال.

وإذا نظرنا أيضا فى كتاب الله عز وجل نجد أن لفظ الولى يأتى أحيانا على صيغة المفرد وأحيانا على صيغة الجمع فحينما يتفرد الولى يأتى اللفظ على صيغة المفرد "ولى" وحينما يتعدد الولى يأتى

٢ـ (التوبة ٧١)

على صيغة الجمع "أولياء" كما في قوله تعالى: "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات"[1]. وأيضا تعدد الولي في هذه الآيات فجاء اللفظ على صيغة الجمع "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض"[2] "والذين كفروا بعضهم أولياء بعض"[3] "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء"[4] أما في آية الولاية فقد جاء اللفظ على صيغة المفرد "ولي" ليبيّن أن الولي واحد فالولي هو الله والولي هو الرسول صلى الله عليه وآله والولي هو من صفته "الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون" وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.

قد يقول قائل أن لفظ "الذين آمنوا" جمع فلا يصح أن يقصد به الإمام علي وهو فرد ولكن أهل اللغة قد يعبرون بصيغة الجمع عن الواحد على سبيل التفخيم والتعظيم وقد عبّر القرآن في مواطن عدة عن الفرد بصيغة الجمع كما في قوله تعالى "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم"[5] ولم يكن القائل إلا نعيم بن مسعود الأشجعي وقد عبّر عنه القرآن بلفظ "الناس" أيضا فقد عبّر القرآن عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بصيغة الجمع "نساءنا" في آية المباهلة حيث يقول الله تعالى "الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين"[6] أيضا قد يقول قائل آخر أن المراد بقوله "وهم راكعون" أن هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالا لإيتاء الزكاة وهذا لا يصح لأن قوله "يقيمون الصلاة" قد دخل فيه الركوع فلو لم يحمل قوله "وهم راكعون" على أنه حال من يؤتون الزكاة وحملناه على من

١ـ (البقرة ٢٥٧)
٢ـ (التوبة ٧١)
٣ـ (الانفال ٧٣)
٤ـ (المائدة ٥١)
٥ـ (آل عمران ١٧٣)
١ـ (آل عمران ٦٠ـ٦١)

صفتهم الركوع كان ذلك تكرارا غيرمفيد. وهناك كذلك من يقول أن "وهم راكعون" معناها وهم خاشعون وليس حالاً من إيتاء الزكاة وهذا أيضا غير صحيح لأن فيه انتقال من الحقيقة الى المجاز ولا قرينة ثم إن الله تعالى قد ذكر الركوع وهو جزء من الصلاة بعد ذكر إقامة الصلاة مما يبين أن ذكر الركوع "وهم راكعون" بعد قوله تعالى " يقيمون الصلاة " يفيد معنى مقصودا وليس تكرارا للصلاة ويبين حال إيتاء الزكاة، وأيضا نجد من يعترض على أن "وهم راكعون" حال لإيتاء الزكاة بقوله أن إخراج الزكاة فى حال الركوع لم يقل أحد أن له أفضلية حيث يقول ابن كثير: فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة "وهم راكعون" فى موضع حال من قوله "ويؤتون الزكاة" أى فى حال ركوعهم ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة فى حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى[1]. فنقول لهؤلاء إن الله تعالى لم يأمر المؤمنين فى هذه الآية بإخراج الزكاة فى حال ركوعهم وإنما نزلت الآية لتصف شخصا معينا قام وحده بذلك العمل لا ليعمل بها المؤمنون جميعا وكان ذلك الشخص هو الإمام على بن أبى طالب عليه السلام. إن هذه الآية لم يعمل بها إلا الإمام على وحده ولا عجب فى ذلك حيث أن هناك آيات أخرى فى القرآن لم يعمل بها غيره كقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة"[2] قال أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام إن فى كتاب الله لآية ماعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى "يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة" كان لى دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما أردت أن أناجى رسول الله صلى الله عليه وآله قدمت درهما فنسخنها الآية الأخرى "أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات" الآية فقال عليه السلام بى خفف الله عن هذه الأمة ولم ينزل فى أحد قبلى ولم ينزل فى

١ـ (تفسير ابن كثير ج٢ ـ ٧١)

٢ـ (المجادلة ١٢)

أحد بعدى "[1]. وقال ابن عمر رضي الله عنهما كان لعلى بن أبى طالب عليه السلام ثلاث لو كانت لى واحدة منهن لكانت أحب إلىّ من حمر النعم تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى [2]. وقال مجاهد وقتادة لما نهوا عن مناجاته صلوات الله عليه حتى يتصدقوا لم يناجه إلا على بن أبى طالب قدم دينارا فتصدق به ثم نزلت الرخصة. فكما أن آية النجوى لم يعمل بها إلا على بن أبى طالب عليه السلام فكذلك آية الولاية فهذه مثل تلك.

فكان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان هارون من موسى فقد روى البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم وغيرهم واللفظ للبخارى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى" أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبى بعدى " [3]. وفى المستدرك للحاكم عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة تبوك وخرج الناس معه فقال له على أخرج معك فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا فبكى على فقال له " أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدى نبى إنه لا ينبغى أن أذهب إلا وأنت خليفتى " قال ابن عباس وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " أنت ولى كل مؤمن بعدى ومؤمنة " [4].

فلعلى عليه السلام كل منازل هارون من موسى كما دل على ذلك التنكير فى كلمة منزلة والذى يفيد العموم حتى لقد يظن البعض أنه نبى مثلما كان هارون فاستثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلة النبوة فقط وأما ما عداها من المنازل فهى ثابتة له فهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووزيره وخليفته ولكن قد يقول قائل إن هارون قد مات فى حياة موسى عليه السلام ولم يتول الخلافة من بعده وبالتالى فإن خلافة عليّ للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته فقط وليس بعد وفاته فنقول لهؤلاء أن عليًا قد عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينما توفى

١ـ (الحاكم ج٢ ـ ٤٢ وصححه الذهبى وأنظر تفسير الآية فى تفاسير الثعلبى والطبرى والسيوطى والزمخشرى والرازى وغيرهم)

٢ـ (أخرجه أبو يعلى وأحمد فى مسنده وراجع أيضا البداية والنهاية ج٧ـ ٣٥٧)

٣ـ (البخارى حديث ٣٧٠٦ ـ فتح البارى ج٧ ٩٢٧ ـ صحيح مسلم شرح النووى ج ١٥ ١٨٢)

٤ـ (الحاكم ج٣ ١٣٤،١٢٢ ـ وقد صححه الذهبى)

هارون فى حياة موسى عليه السلام ولقد استخلف موسى هارون فى حياته ولو عاش بعده هل سيخلفه أحدٌ غيره؟ وهل يطلب موسى من الله تعالى أن يجعل هارون وزيرا له يشد به أزره ويشركه فى أمره ثم لا يستخلفه إن هو عاش بعده ؟ فهارون هذه الأمة ـ على بن ابى طالب عليه السلام ـ عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فهو خليفته الذى استخلفه على الأمة وليس الذى نصبه الآخرون. يقول ابن حجر فى فتح البارى تعليقا على حديث المنزلة " واستدل بحديث الباب على استحقاق على للخلافة دون غيره من الصحابة فان هارون كان خليفة موسى " [1] ثم يرد على ذلك بقوله " وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا فى حياته لا بعد موته لأنه مات قبل موسى ". لكننا نتقدم بسؤال لو عاش هارون بعد موسى هل سيشك أحد أنه الخليفة من بعده؟ وهل سيتقدم عليه أحد غيره ويقول أنت خليفته فى حياته فقط ولا تصلح للخلافة بعده وهناك من هو أحق وأجدر بالخلافة منك؟ إن الإمام على عليه السلام عاش بعد الرسول صلى الله عليه وآله فاذا كان خليفته فى حياته أفليس الأجدر أن يكون خليفته بعد موته؟ وهل كان اختيار الرسول صلى الله عليه وآله لعلى خليفة له فى حياته اختيارا خاطئا حتى لا يصلح للخلافة من بعده؟ فلماذا لا يكون هو الخليفة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.؟

ومن الثابت أن الرسول صلى الله عليه وآله قد نصب عليًا عليه السلام إماما للأمة يوم غدير خم [2] وكان ذلك امتثالا لأمر الله تعالى وبهذا الأمر أكمل الله الدين وأتم به النعمة فبعد نزول آية البلاغ " يا أيها الرسول بلغ....." وبعد قيام الرسول صلى الله عليه وآله بإبلاغ إمامة على بن ابى طالب عليه السلام أنزل الله تعالى " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا "[3] فقد روى السيوطى فى الدر المنثور[4] عن ابن أبى حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبى سعيد الخدري قال نزلت هذه الآية " يا

١ـ (فتح البارى ج٧ ٩٣)

٢ـ يوم غدير خم هو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة من العام العاشر الهجرى

٣ـ (المائدة ٣)

٤ـ الدر المنثور للسيوطى ج٢ ٢٩٨

أيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك " على رسول الله ﷺ يوم غدير خم فى على عليه السلام وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ـ إن عليا مولى المؤمنين ـ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته (وهذا القول على سبيل التفسير وليس تحريفا للقرآن كما قد يتوهم البعض).

وروى السيوطى فى الدر المنثور عن الحافظ ابن مردويه وابن عساكر بسنديهما عن أبى سعيد الخدرى قال " لما نصب رسول الله عليا يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبريل عليه بهذه الآية " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا " ورواه أيضا الحافظ الحسكانى [1] وابن عساكر [2].

وممن روى نزول آية الإكمال فى غدير خم:

١ـ الحافظ ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى كتابه الولاية

٢ـ الحافظ بن مردويه الأصفهانى

٣ـ الحافظ ابو نعيم الأصبهانى فى كتابه مانزل من القرآن فى على

٤ـ الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادى فى تاريخه

٥ـ الحافظ ابو القاسم بن عساكر الشافعى الدمشقى

٦ـ الحافظ ابو القاسم الحاكم الحسكانى

وإلا فبأى شىء آخر أكمل الله الدين وأتم النعمة؟ فالفرائض الإسلامية كانت تنزل فريضة بعد أخرى فكانت ولاية على بن أبى طالب آخر الفرائض نزولا.

ولكن ماذا نقول فى رواية البخارى التى تبين نزول آية إكمال الدين يوم عرفة حيث روى البخارى عن عمر بن الخطاب أن رجلا من اليهود قال يا أميرالمؤمنين آية فى كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لإتخذنا ذلك اليوم عيدا قال أى آية قال " اليوم أكملت لكم

١ـ الحديث ٢١١

٢ـ الحديث ٥٨٥، ٥٨٦ من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق ج٢ ٨٥

دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا " قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة [1] فهناك آيتان آية البلاغ " يا ايها الرسول بلغ

ما أنزل إليك من ربك.....الآية " وآية إكمال الدين " اليوم أكملت لكم دينكم.... الآية " فمتى نزلت كل منهما؟ وهل من المعقول أن تنزل آية إكمال الدين ثم بعد ذلك تنزل آية البلاغ فاذا كانت آية البلاغ قد نزلت فعلا يوم غدير خم فهل يعقل أن تنزل آية اكمال الدين قبلها يوم عرفة؟ ألا يعتبر ذلك تناقضا كيف يتم الله تعالى الدين ثم بعد ذلك يأمر نبيه بالإبلاغ؟ وإذا كان الدين قد كمل يوم غدير خم بولاية على عليه السلام فبأى شىء قد كمل يوم عرفة؟ وإذا كان يوم نزول آية إكمال الدين عيدا للمسلمين كما جاء فى رواية البخارى فهل يتخذ أحد من المسلمين يوم عرفة عيدا؟ بينما نجد أن أتباع أهل البيت عليهم السلام يتخذون يوم غدير خم عيدا حيث أكمل الله فيه الدين وأتم فيه النعمة بإمامة على بن أبى طالب عليه السلام فقد روى الخطيب والحافظ الحسكانى وابن عساكر والخوارزمى وابن المغازلى بأسانيد عن أبى هريرة قال من صام يوم ثمانى عشر من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهرا وهو يوم غدير خم لما أخذ النبى ﷺ بيد على عليه السلام فقال ألست ولى المؤمنين قالوا بلى يارسول الله قال من كنت مولاه فعلى مولاه فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن أبى طالب أصبحت مولاى ومولى كل مسلم فأنزل الله عز وجل " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا.

فإذا كان من الثابت أن الرسول ﷺ قد نصب عليا إماما للأمة يوم غدير خم فلماذا نحاول أن نهرب من الحقيقة ونصرف الأدلة عما يراد منها؟ أكل ذلك حتى لانقر لأهل البيت عليهم السلام بالمكانة والمنزلة التى وضعهم فيها الله تعالى والتى بلغها الرسول ﷺ؟ إنه كلام الله تعالى وكلام الرسول ﷺ وليس كلامنا ولا كلام أحد من البشر

---

١ ـ البخارى(ج١ ١٦ ـ ج٥ ١٢٧ ـ ج٨ ١٣٧)

ولا كلام ابن سبأ ـ كما يزعمون ـ تلك الشخصية الأسطورية التى إختلقوها ليبعدوا الناس عن أهل البيت عليهم السلام وليوهموهم أن النص على علي عليه السلام إمام للأمة إنما هو من نسج خيال تلك الشخصية فلماذا لا نذعن للحقيقة ولما أنزله الله تعالى ولماذا نحاول أن نجتهد دائما فى مقابل النصوص؟ ولماذا نحاول أن نتقدم على الله ورسوله صلى الله عليه وآله بآرائنا وأهوائنا وأفكارنا وقد نهانا الله تعالى عن ذلك بقوله " يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقو الله إن الله سميع عليم " [1].

وقد تستغرب عزيزى القارىء من القول بالنص على الإمام وأنه معين من قبل الله تعالى ولكن ذلك يعود لحملة التعتيم التى شنت ضد أهل البيت عليهم السلام والتى مازالت آثارها باقية إلى يومنا هذا وكذلك إلى التقليد الأعمى والعصبية البغيضة وتقديس الموروثات وعدم الأخذ بما أنزل الله تعالى وكذلك يعود أيضا إلى الانغلاق الفكرى وعدم الاستماع إلى الآخر بل ومحاولة مصادرته وإلا فهل سمعت عزيزى القارىء أن نبيا من الأنبياء عقد مجلسا للشورى لإختيار وصيه وخليفته من بعده؟ وهل سمعت أن نبيا من الأنبياء ترك الأمر لأمته تختارمن تشاء من بعده؟ لقد كان معلوما عند الأمم السابقة أن مجرد اختيار قائد للجيش ليس موكولا لهم وإنما هو تعيين إلهى ولنتدبر فى قوله تعالى " ألم تر إلى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله " [2] فلو كانوا يعلمون أن الأمر لهم لاختاروا واحدا منهم. وهل سمعت عزيزى القارىء أن الرسول صلى الله عليه وآله عقد مجلسا للشورى لاختيار قائد سرية أو من يخلفه على المدينة حين غيابه عنها؟ بل ربما قوبل التعيين النبوى للقادة والأمراء بالطعن وعدم الرضا فقد أخرج البخارى أن رسول صلى الله عليه وآله بعث بعثا وأمرّ عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس فى إمرته فقام رسول صلى الله عليه وآله فقال " إن كنتم تطعنون فى إمرته فقد كنتم تطعنون فى إمرة أبيه من قبل وأيم الله إن كان

١ـ الحجرات ١

٢ـ البقرة ٢٤٦

لخليفا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس اليَ وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده "[1].

إن الرسول ﷺ لم يترك لهم تعيين الأمراء ولما عيَّن أسامة بن زيد أميرًا على الجيش طعنوا فى إمرته كما طعنوا فى إمرة أبيه من قبل رغم تعيين الرسول ﷺ لهما.

ولكن قد يقول البعض إن الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه " وأمرهم شورى بينهم "[2] ويقول أيضا " وشاورهم فى الأمر "[3] وكذلك فان الرسول ﷺ شاور أصحابه فى غزوة بدر وتنازل عن رأيه وأخذ برأى الصحابى الحباب بن المنذر فيما يتعلق بالمكان الذى ينبغى أن ينزل فيه المسلمون فى مواجهة الكفار فنقول إن هذه الشورى فيما لا نص فيه أما ما فيه نص فلا شورى فيه وأمر الإمامة فيه النص الإلهى فلا شورى فيه وأما ما حدث فى غزوة بدر فإننا نلاحظ أن الصحابى الحباب بن المنذر رضي الله عنه قال أولا للرسول ﷺ يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتاخر عنه؟ أم أنه الرأى والحرب والمكيدة؟ أى أنه كان يعلم إذا كان هناك أمر من الله فلا مجال للشورى فلما علم أنه ليس هناك أمر من الله وأن المجال مفتوح أمام الرأى أدلى برأيه والذى أخذ به الرسول ﷺ فمن الثابت أن لا نبى من الأنبياء ترك الأمر لأمته لا فى حال حياته ولا بعد موته لإختيار وصيه وخليفته وإنما كان التعيين الإلهى للأوصياء هو السنة الإلهية الثابتة والتى لم تتغير فى أمة محمد ﷺ فكان النص على على بن أبى طالب والأئمة من بعده سيرا على هذه السنة الالهية وإمتدادا لها " سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا "[4]

ثانيا: التمسك بالكتاب والعترة أمان من الضلال

فالأمن من الضلال فى التمسك بالقرآن والعترة معًا فالذى يتمسك

١ـ (البخارى جـ٨ـ ١٦٠)

٢ـ (الشورى ٣٨)

٣ـ (آل عمران ٥٩)

٤ـ (الاحزاب ٦٢)

بأحدهما فقط لا يكون فى أمن من الضلال فالذين يبتعدون عن العترة ولا يعرفون عنها شيئا ولا يلتزمون بمنهجها أولئك ليسوا فى مأمن من الضلال لأن الرسول ﷺ جعل الأمن من الضلال فى التمسك بالكتاب والعترة معًا وقد يقول قائل إنى أتمسك بالكتاب والسنة ولا حاجة لى إلى التمسك بالعترة وأنا فى ذلك فى أمن من الضلال نقول لمن يقول هذا إنك لا ترد على أحد من البشر أو على خصم من خصومك وإنما ترد على رسول الله ﷺ وترفض قوله وتطعن فيه ولا تستجيب له والله تعالى يدعونا لكى نستجيب للرسول ﷺ بقوله "يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم" [1] ويقول أيضا "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم" [2] ويقول "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما" [3]

وهناك أمر هام ينبغى أن نشير إليه وهو أن التمسك بالكتاب والعترة لا يعنى أبدا ترك السنة وعدم التمسك بها كما يتوهم البعض حيث أن التمسك بالقرآن لا يكون إلا بالتمسك بالسنة حيث يدعو القرآن إلى التمسك بالسنة فى مواطن عديدة مثل قوله تعالى "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" [4] "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول" [5] "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما" [6] فالتمسك بالقرآن لا يكون إلا بالتمسك بالسنة والا فكيف نصلى ونصوم ونحج ونزكى إذا لم نتمسك بالسنة حيث أن القرآن العظيم قد أجمل هذه التعاليم بينما فصّلت أحكامها السنة النبوية المطهرة فلا يمكن إذن التمسك بالقرآن إلا بالتمسك بالسنة كما يتضح ذلك من

١ـ (الانفال ٢٤)
٢ـ (الاحزاب ٣٦)
٣ـ (النساء ٦٥)
٤ـ (الحشر ٧)
٥ـ (التغابن ١٢)
٦ـ (النساء ٦٥)

القرآن العظيم . نعم إن القرآن العظيم فيه الهدى والنور وكذلك السنة النبوية الصحيحة ولكن القرآن صامت يحتاج إلى من ينطق عنه وإلى من يبينّه كما كان الرسول ﷺ يبينه " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم " [1] فمن يبين للأمة من بعده ؟ ومن يعصم الأمة من الاختلاف فى الكتاب؟ وماذا نصنع حينما يختلف فى الكتاب كما اختلف فى كتب الأمم السابقة؟ (المراد بالاختلاف هو الاختلاف فى التأويل والتفسير والفهم لا وقوع التحريف فى القرآن كما قد يتوهم البعض حيث أن القرآن محفوظ من التحريف بحفظ الله تعالى له" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ") [2] " ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه " [3]. خاصة أن الرسول ﷺ قد بين أن هذه الأمة ستتبع سنن من قبلها من اليهود والنصارى حيث قال " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن " [4] فالقرآن حمال أوجه فمن يحمله على الوجه الذى يريده الله تعالى؟ ومن الذى يعلم السنة الصحيحة من الضعيفة والموضوعة خاصة بعد أن كثر الكذب على رسول الله ﷺ وإنتشر الوضع فى الأحاديث ؟ ومن الذى يلتزم بالقرآن والسنة ويطبقهما التطبيق الأمثل ويكون حجة الله على خلقه؟ ومن الذى ترجع إليه الأمة عند الإختلاف فى القرآن والسنة؟ ومن الذى لا يفارق القرآن ولا يختلف معه؟ ومن الذى مع الحق والحق معه كل ذلك يبين ضرورة وجود إمام معصوم يهدى بأمر الله تعالى " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا " [5] ويقود الأمة بالقرآن والسنة ويبيّن لها ما تختلف فيه ويرشدها إلى الحق ويكون حجة الله على عباده ويكون مرجعا للأمة يرجع إليه فى كافة أمورها وتدين له بالطاعة امتثالا لقوله تعالى "

---

١ ـ الحجر٩

٢ ـ النحل٤٤

٣ ـ هود ١١٠

٤ ـ البخارى ج٤ ـ ١٨٧ ـ مسلم ج٨ ـ ٥٧

٥ ـ (الأنبياء ٧٣)

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم "[1] فنحن حينما نتمسك بالعترة فإننا لانلغى السنة وإنما نأخذ القرآن من أهله والسنة من أهلها من الذين طهرهم الله وأورثهم العلم فكانوا ورثة الأنبياء من الذين عندهم علم الكتاب والسنة الذين يحتاج الناس إلى علمهم ولا يحتاجون إلى علم الناس من الذين يعلمون تأويل الكتاب والذين يستنبطون الحق " وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم " [2] نأخذ من أولى الأمر الذين فرض الله تعالى علينا طاعتهم وأمرنا بالرجوع إليهم فعندما نأخذ من هؤلاء فإننا نأخذ القرآن كما أنزله الله تعالى بعيدا عن تحريف المحرفين (أى التحريف فى التأويل والتفسير والفهم) وتأويل المتأولين ونأخذ السنة الصحيحة كما صدرت عن رسول الله ﷺ بعيدا عن وضع الوضاعين وكذب الكذابين ونحن حينما نأخذ من هؤلاء ونتمسك بهم فإننا لا نفعل إلا ما أمرنا به الله ورسوله وليس اتباعا لعصبية او هوى. فالتمسك بالقرآن والسنة غير ممكن بدون التمسك بالعترة حيث جعل الرسول ﷺ القرآن والعترة قرينين لا يمكن فصْل أحدهما عن الآخر ولا يحصل الأمن من الضلال إلا بالتمسك بهما معا كما أوصى بذلك الرسول ﷺ ولذلك فوجود الأئمة المعصومين عليهم السلام مع الكتاب والسنة هو الأمان من الضلال بعد الرسول ﷺ ولزيادة توضيح المسألة نقول إذا طرحنا عدة أسئلة على مجموعة من العلماء وكان معهم القرآن والسنة فهل سنحصل على إجابة واحدة؟ أم أنك ستجد إجابات عديدة ومختلفة وأحيانا متناقضة بل ربما وجدت الآية الواحدة يستدل بها عالم على أمر ويستدل بها آخر على نقيضه. وإذا واجهت الأمة مشكلة من المشكلات فهل تجد للعلماء فيها موقفا ورأيا واحدا رغم وجود القرآن والسنة؟ أم أنك تجد مواقف وآراء مختلفة ومتعددة وأحيانا متناقضة فماذا تفعل الأمة فى مثل هذه الحالة من الاختلاف والتناقض؟ وأيضا إذا نظرنا إلى الساحة

١ـ (النساء ٥٩)

٢ـ (النساء٨٣)

الإسلامية لوجدناها تمتلىء بجماعات وجهات إسلامية كثيرة كلها ترفع شعار التمسك بالكتاب والسنة ومع ذلك فهى تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا وتتناقض تناقضا شاسعا بل ربما يكفر بعضها بعضا ويقاتل بعضها بعضا فلم يمنعها الكتاب والسنة من الاختلاف والتناقض والتناحر والاقتتال فأين الخلل؟ وعلام يدل ذلك؟

إن هناك الاختلاف فى الفهم

وهناك الفهم المغلوط

وهناك مَن يتبع الهوى

وهناك مَن يشترى بآيات الله ثمنا قليلا

وهناك مَن يحرف الكلم عن مواضعه

وهناك مَن يكتم الحق ويلبس الحق بالباطل

وهناك مَن يخشى الناس ولا يخشى الله

وهناك مَن فى قلوبهم مرض

وهناك مَن يركن إلى الظالمين

وهناك مَن يعمل لصالح السلاطين

وهناك وهناك وهناك.....

فأى من هؤلاء نتبع؟ وإلى من نسمع ونطيع؟ وممن نأخذ؟ وإلى من نرجع؟

ألا يدل ذلك كله على ضرورة وجود إمام معصوم ترجع إليه الأمة ويكون صمام أمان من الضلال والاختلاف ويفرق بين الحق والباطل؟

وقد يعترض البعض على هذا الكلام بقوله فحتى وجود الإمام المعصوم لا يمنع من الاختلاف والاقتتال فلقد كان الإمام على عليه السلام موجودا ومع ذلك اختلفوا معه وخرجوا عليه وقاتلوه فنقول إن وجود الإمام يفرق بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال وبين النور والظلمة

وبين حزب الله وحزب الشيطان فمن يتبع الإمام يهتدى إلى طريق الله تعالى وإلى الحق ومن يخالفه يضل عن طريق الله تعالى ويكون مع الباطل بينما فى عدم وجود الإمام المعصوم تلتبس الأمور وتختلط الأوراق ويقع الناس فى الحيرة والاضطراب ولايستطيعون تمييز الحق من الباطل وقد يضلون عن طريق الله تعالى وهم يحسبون أنهم مهتدون

ولذلك دعا رسول الله ﷺ إلى التمسك بالكتاب والعترة وجعل فى ذلك الأمن من الضلال فالتمسك بالعترة ومنهج أهل البيت عليهم السلام ليس كفرا وضلالا وخروجا عن الإسلام كما يصوره البعض ولكنه الامتثال الحق لأوامر الله ورسوله والتجسيد الحقيقى للإسلام بل هو سفينة النجاة من طوفان الفتن والضلال الذى لا عاصم منه كما قال الرسول ﷺ "مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق "[1]

ثالثا: القرآن والعترة لن يفترقا

ما معنى أن العترة لن تفارق القرآن كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ؟

القرآن كما وصفه الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا مجال فيه للخطأ والزيغ والإنحراف فهو معصوم عن ذلك والعترة لن تفارقه فهى أيضا معصومة لأنها لو أخطأت وزاغت وإنحرفت لفارقت القرآن وهذا خلاف ما يبيّنه الحديث الشريف وهذا دليل على عصمة الأئمة عليهم السلام مما يجعل الإنسان مطمئنا وهو يسير خلفهم أنه يسير فى الصراط المستقيم صراط رب العالمين وكما قال الرسول ﷺ فيهم " وإنهم لن يخرجوكم من هدى ولن يدخلوكم فى ضلال " وكما قال الإمام على عليه السلام " أنظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا آثارهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم فى ردى فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا "[2]

١ـ (أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه ج٣ـ١٥١)

٢ـ (نهج البلاغة ٢ـ١٩٠)

تساولات حول وصية الرسول ﷺ

أولا : إذا كانت الوصية بأهل البيت عليهم السلام قد صدرت فعلا من رسول الله ﷺ فلماذا أعرض عنها الصحابة ولم يعملوا بها؟ ولماذا لم ينصبوا علي بن أبى طالب عليه السلام إماما للأمة ؟

نقول:

ـ لعلهم استصغروا سن الإمام على عليه السلام الذى لم يتجاوز الثلاثين إلا بقليل والعرب كانت تأنف من الإنقياد لصغير السن ومما يعزز هذا الاحتمال طعنهم فى تأمير أسامة بن زيد على الجيش وهو ابن سبعة عشر عاما وكان ذلك فى حياة الرسول ﷺ ولم يكن بعد وفاته فلم نستغرب رفضهم تأمير على بن أبى طالب عليه السلام بعد وفاة الرسول ﷺ خاصة وأن إمارة على عليه السلام كانت إمارة عامة على الأمة ولم تكن إمارة على سرية أو جيش

ـ أو لأن عليا عليه السلام قتل الكثير من صناديد قريش ومن القبائل العربية الأخرى فى حروب الإسلام المختلفة فأورث ذلك فى قلوبهم أحقادا أبت أن يرضوا بإمرته حيث أنها النفس البشرية التى لم تزل بها بعض الرواسب ولم تتطهر تماما كما قال الرسول ﷺ لعائشة رضي الله عنها " لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون " [1] فالرسول ﷺ ترك هذا العمل مراعاة لظروفهم حيث يمكن ألا يتقبلوه لأنهم كانوا حديثى عهد بالجاهلية ولا يستوعبون ذلك العمل ولا يرضونه

ـ أو لعله الحسد فقد قال الله تعالى " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما " [2] يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ونحن المحسودون

١ـ (البخارى ج١ـ ٤١)
٢ـ (النساء ٥٤)

الذين قال الله فى كتابه " ام يحسدون الناس..... الآية. ونلاحظ أن الآية قد ذكرت آل إبراهيم فى مقابل الناس مما يرجح أن الناس فى الآية هم آل محمد ﷺ. فدفعهم الحسد إلى أن كرهوا أن تجتمع النبوة والإمامة فى بنى هاشم ورغبوا فى تداول السلطة بين القبائل المختلفة لأنها لو وضعت فى أهل البيت عليهم السلام فلن تخرج منهم إلى غيرهم. ولا تتعجب عزيزى القارىء من الحسد فقد وقع بين أخوة يوسف عليه السلام وهم أولاد نبى ففعلوا ما فعلوا بيوسف عليه السلام فلا يستبعد أن يحدث من غيرهم

ـ أو لعلهم رأوا أن المصلحة توجب عدم تولى على عليه السلام اعتقادا منهم أن القبائل لا تنقاد له ولا تطيعه فكان ذلك اجتهادا منهم فى مقابل النص وهو ما جرى منه الكثير بعد وفاة الرسول ﷺ (من أراد أن يتعرف المزيد من هذا الإجتهاد فى مقابل النص فعليه بمراجعة كتاب النص والإجتهاد للعلامة شرف الدين)

ـ أو لعله الغدر الذى مارسته الأمة تجاه الإمام على عليه السلام حيث قال الرسول ﷺ لعلى " إن الأمة ستغدر بك وأنت تعيش على ملتى وتقتل على سنتى من أحبك أحبنى ومن أبغضك أبغضنى وإن هذه ستخضب من هذا " ـ يعنى لحيته من رأسه [1] وعن على عليه السلام قال "إن مما عهد إلى النبى ﷺ أن الأمة ستغدر بى بعده "[2]. وإذا كانت كلمة الغدر عزيزى القارىء شديدة وقاسية ومؤلمة فإنى لم أقلها ولا أجرؤ والله على قولها من تلقاء نفسى ولكن الذى قالها هو الرسول ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى والخبير بداء الأمة فنحن نقولها بقوله لأننا نتبعه ونطيعه ونسير معه حيث سار ونتوجه حيث توجه ونقتدى به ونتمسك بسنته فلماذا نعرض عما يقوله ﷺ؟ هل هى العاطفة ؟ أم هو الورع الكاذب؟ أم التقليد الأعمى للآباء والأجداد؟ أم تقديس ما توارثناه دون تدبر وتمحيص؟ أم اتباع السادة والكبراء والعلماء والشيوخ الذين أخفوا عنا الحقيقة وسرنا وراءهم؟ والإمام على عليه السلام يقول " لا تعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف أهله "

١ـ (الحاكم ج٣ ـ ١٤٧ وصححه الذهبى ـ وأخرجه أحمد فى مسنده ج٥ ـ ٤٢٥

٢ـ (الحاكم ج٣ ـ ١٤٠ وصححه الذهبى)

فلماذا نستحى من الحق؟ ولماذا نخشى الحقيقة؟ علينا أن نتقبل الحقيقة بشجاعة مهما كانت قاسية ومؤلمة. إن هذا الغدر بدت ملامحه يوم الخميس السابق على وفاة الرسول ﷺ فقد روى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء فقال اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فتنازعوا ولا ينبغى عند نبى تنازع فقالوا هجر رسول الله قال رسول الله ﷺ" دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه "[1] وأخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال "

الخميس وما يوم الخميس ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال قال رسول الله ﷺ: " ائتونى بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقالوا إن رسول الله يهجر "[2] فتأمل عزيزى القارىء فى هذه الأحاديث حيث يرويها ابن عباس وهو يتألم ويبكى ويسميها رزية أى مصيبة كما جاء فى صحيح البخارى حيث قال " إن الرزية كل الرزية ما حال بين الرسول ﷺ وبين كتابه "[3] إنها فعلا مصيبة وأية مصيبة تلك التى حرمت الأمة من الوثيقة الرسمية لرسول الله ﷺ والتى لن تضل الأمة بعدها أبدا وكم هى الخسارة التى أصابت الأمة نتيجة منع كتابة هذه الوصية ويا لها من كلمة شنيعة تلك التى وصفوا بها رسول الله ﷺ حيث قالوا عنه انه يهجر أى يهذى وهو المؤيد بالوحى والذى لاينطق عن الهوى فى جميع أحواله فى صحته وفى مرضه وفى سائر أحواله فهل كان هناك تيار لا يريد كتابة هذه الوثيقة خاصة وأن مضمونها يتفق مع مضمون وصية الرسول ﷺ فى خطبة الحج وفى يوم الغدير هذا المضمون الذى يضمن للأمة الأمن من الضلال من خلال التمسك بالكتاب والعترة؟ وهل أراد الرسول ﷺ أن يوثق بالكتابة وصيته فى

١ـ (البخارى ج٢ ـ ١١٨)
٢ـ (مسلم ج٢ـ ١٦)
٣ـ (راجع فتح البارى ج١ـ٢٦٣)

الحج ويوم الغدير ولكن القوم أبوا ذلك ؟

ثانيا : ما هى الآثار التى ترتبت على ترك العمل بالوصية ؟

هناك الكثير من هذه الآثار ولكننا سنكتفى بالقليل منها وبدون تفصيل:

إن الوصية كانت تضمن للأمة قيادة ربانية عادلة ومعصومة تهدى بأمر الله تعالى وتنشر الهدى والعدل والرحمة وبترك الوصية حرمت الأمة بل البشرية جمعاء من مثل هذه القيادة وتسلط على الناس الظلمة والطغاة والجبابرة.

ـ تحول الحكم فى الإسلام إلى ملك وراثى عضوض ما أنزل الله به من سلطان ولا أمر الله به فى كتابه أو فى سنة نبيه ﷺ وأصبح هرقلية وكسروية وتولى مقاليد الحكم الإسلامى من ليس له بأهل وأقاموا حكمهم على الظلم والفساد وسفك الدماء وهتك الأعراض وانتهاك المحرمات وبلغ الأمر إلى أن تولى حكم المسلمين من كان يتجاهر بالفسق وشرب الخمر وإضاعة الصلاة ومن انتهك حرمة المقدسات الإسلامية فاستباح مدينة رسول الله ﷺ حيث اغتصبت النساء وقُتل الرجال لم يحدث هذا من قِبَل الكفار ولكن من قِبَل الذين تسموا بالإسلام وحكموا باسمه يقول ابن كثير فى البداية والنهاية : وقد روى أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقرود وما من يوم إلا ويصبح فيه مخمورا وكان يشد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به ويلبس القرد قلانس الذهب وكذلك الغلمان وكان يسابق بين الخيل وكان إذا مات القرد حزن عليه [1] ويقول أيضا : وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأى فى الملك وكان ذا جمال حسن العشرة وكان فيه أيضا إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات فى بعض الأوقات

---

١ ـ (البداية والنهاية ج٨ـ ٢٣٦)

وإماتتها فى غالب الأوقات [1] يقول المسعودى وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين فأقبل على ساقيه فقال:

اسقنى شربة تروى مشاشى ثم مل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السروالأمانةعندى ولتسديد مغنمى وجهادى

ثم أمر المغنين فغنوا. وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق وفى أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهى وأظهر الناس شرب الشراب [2]

ويقول ابن كثير ثم أباح مسلم بن عقبة الذى يقول فيه السلف مسرف بن عقبة_ قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله_(هذا من قول ابن كثير) المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد لا جزاه الله خيرا (هذا أيضا من قول ابن كثير) وقتل خلقا من أشرافها وقرائها وإنتهب أموالا كثيرة منها ووقع شر عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد " ويقول أيضا " ووقعوا على النساء حتى قيل أنه حبلت ألف إمراة فى تلك الأيام من غير زوج قال المدائنى عن أبى قرة قال قال هشام بن حسان ولدت ألف إمراة من أهل المدينة بعد وقعة الحرة من غير زوج [3] فهل هذا هو الإسلام ؟ وهل يليق بمثل هؤلاء الحكام أن يخلفوا الرسول ﷺ فى حكم المسلمين؟ وهل هذه هى المدينة التى هى حرم رسول الله ﷺ الذى قال عنها " المدينة حرم من كذا الى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث من أحدث حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " [4] وأيضا فى ظل مثل هؤلاء الحكام الذين تسموا بالخلفاء وأمراء المؤمنين قصفت الكعبة المشرفة بالمنجنيق فهل راعى هؤلاء الحكام حرمة للإسلام ؟

_ قتلوا أهل البيت عليهم السلام وسبوا نساءهم !!

١_ (البداية والنهاية ج٨_ ٢٣١)

٢_ (مروج الذهب ج٣_٧٢)

٣_ (راجع البداية والنهاية ج٨ _ ٢٢٠ _ ٢٢١)

٤_ (البخارى ج٣_ ٢٥)

إنهم لم يقتلوا أهل بيت كسرى وقيصر وإنما قتلوا أهل بيت رسول الله ﷺ الذى أنقذهم الله به من الشرك والضلال والذل والهوان الذى كانوا يحيونه قبل الإسلام . إنهم سبوا نساء أهل البيت عليهم السلام بنات رسول الله ﷺ الطاهرات العفيفات الشريفات حيث أخذوهن مهتكات حاسرات الرءوس يطاف بهن فى البلاد بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام خرجت ابنة عقيل بن أبى طالب ومعها نساؤها حاسرة تلوى ثوبها وهى تقول ماذا تقولون إن قال النبى لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم إن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى [1] . إن أولئك الحكام ما تربعوا على عروشهم إلا باسم الإسلام الذى أُنزل على رسول الله ﷺ والذى جاهد من أجله فهل كان هذا هو رد الجميل لرسول الله ﷺ؟

فأى جريمة إقترفها أولئك الحكام؟ وهل راعوا حرمة للرسول ﷺ؟ وإذا اجترءوا على حرمة الرسول ﷺ فهل سيراعون حرمة لأحد غيره؟ وهذا ما ظهر من خلال سيرتهم وتاريخهم

ـ غيّر الحكام فى تعاليم الدين وبدلوا وانغمسوا فى الشهوات والملذات وشجعوا وضع الأحاديث المكذوبة فى فضائلهم وفى الطعن فى أهل البيت والحط من قدرهم ورفع خصومهم ومارسوا القتل والتشريد ضد أتباع أهل البيت عليهم السلام ومنعوا عنهم العطاء وهدموا دورهم وأسقطوا عدالتهم وردوا شهادتهم وما أكثر الأحاديث التى قالوا عنها ضعيفة أو موضوعة فقط لأن الراوى من أتباع أهل البيت ومحبيهم وإن كان صدوقا ورعا تقيا

ـ تفرقت الأمة وتشتت وفتح الباب أمام سفك الدماء وأمام اصحاب الانقلابات العسكرية وظهرت نظرية تقول نحن مع من غلب وكأنها شريعة الغاب وقُتل فى النزاعات الداخلية بين المسلمين أضعاف أضعاف من قتل فى حرب المسلمين مع غيرهم

---

١ ـ (الكامل ج٢ـ ٢٠٠)

ـ قل الالتزام بالدين وظهرت البدع والخرافات وتأثرت الأمة بغيرها من الأمم التى دخلت فى الإسلام وبدأت تفقد هويتها رويدا رويدا حتى وصل الأمر إلى الحالة التى نعيش فيها الآن دويلات هزيلة وضعيفة ومتفرقة يتسلط عليها الجبابرة والطغاة والظالمون الذين ينهبون موارد البلاد ويسخرونها لملذاتهم وشهواتهم وأهدافهم الشخصية وأصبح من هؤلاء الحكام من لا يعنيه إلا الكرسى الذى يجلس عليه وإن أهلك فى سبيل الحفاظ عليه شعبه وأمته وأصبح الكثير منهم أداة فى أيدى أعداء الإسلام وعملاء لهم ينفذون مخططاتهم ويحاربون الإسلام وأهله.

ثالثا: التساؤل الثالث: ما فائدة الكلام عن الوصية الآن بعد مرور عشرات القرون عليها ؟ أليس هذا رجوعا إلى الوراء وإهمالا لواقع الأمة ومستقبلها؟ أليس هذا تفريقا للأمة وإضعافا لها خاصة فى مثل هذه المرحلة الصعبة التى تمر بها الأمة والتى تشتد فيها مؤامرات الأعداء من أجل الإجهاز على الأمة؟

قبل أن نتحدث عن فائدة هذا الكلام علينا أن ننظر إلى واقع الأمة ونسأل أنفسنا هل تعيش الأمة الآن عزيزة كريمة موحدة قوية يرهبها الأعداء والكلام عن الوصية سيضعفها ويفرقها ويشتت شملها ؟ أم أنها تعيش أسوء الفترات فى مذلة ومهانة وضعف وتفرق وتشتت وتشرذم؟ إن الأمة مصابة بداء خطير ليس وليد اللحظة ونحن بحاجة إلى معرفة سبب هذا الداء بحاجة الى دراسة التاريخ لنتعرف على الأسباب التى أوصلتنا إلى هذه الحالة التى نعيشها إننا بحاجة إلى الرجوع إلى التاريخ لنستلهم منه العبر ولنتعرف على مواطن الخطأ والصواب .فالوصية ليست قضية تاريخية وانتهت بل إن لها آثارا خطيرة فى حياة المسلمين وفى مسيرة الإسلام سواء فى الماضى أم فى الحاضر والمستقبل إن الويلات والمصائب التى جرت على الأمة إنما كانت بسبب إعراضها عن وصية رسول الله ﷺ التى تضمن لها الأمن من الضلال. إن الطرق قد تعددت وكثرت المناهج والرايات فأى طريق نسلك؟ وتحت أى راية نستظل؟ وأى منهج نتبع؟ ألا يكفينا التجارب البشرية الفاشلة التى

أوصلتنا إلى هذه المرحلة؟ أما آن لنا أن نسلك الطريق الذى رسمه لنا الرسول ﷺ طريق أهل البيت عليهم السلام ففى ظله فقط سوف تتوحد الأمة فالرسول ﷺ يقول " النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتى أمان لأمتى من الإختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس " [1] ففى العودة إلى أهل البيت عليهم السلام أمان من الاختلاف إن راية أهل البيت عليهم هى الراية التى تضمن للأمة وحدتها وأيضا

فتحت قيادة أهل البيت عليهم السلام سينتصر الإسلام ويقيم دولته العالمية العادلة والتى بشر بها الرسول ﷺ حين قال " المهدى من عترتى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا " فهل نسلك طريق أهل البيت عليهم السلام لتمهد لقيام تلك الدولة الموعودة ونقرب أيامها ؟

ويبقى سؤال أخير كيف نتمسك بأهل البيت عليهم السلام ؟

إنك إذا تحدثت مع أحد من المسلمين فسيقول لك ـ وهو صادق فى قوله ـ إننى أحب أهل البيت حبا كثيرا فهل هذا الحب يكفى لنكون متمسكين بأهل البيت عليهم السلام عاملين بوصية رسول الله ﷺ ؟ إن الحب شىء هام وضرورى ولكن ليس كافيا وحده فالتمسك بأهل البيت عليهم السلام يعنى الاعتراف بمنزلتهم ومكانتهم والإقرار بإمامتهم وأن نتخذهم أئمة نسير على نهجهم ونقتدى بهم ونتعلم منهم ونأخذ أحكام ديننا منهم لا من غيرهم وأن نواليهم ونوالى أولياءهم ونعادى أعداءهم وأن نكون كما كان رسول الله ﷺ سلما لمن سالمهم وحربا لمن حاربهم وأن نفرح لفرحهم ونحزن لحزنهم وأن نقدمهم على من سواهم ولانقدم عليهم أحدا مهما كان حيث أن الجميع بلا إستثناء مطالب بالتمسك بهم تنفيذا لوصية الرسول ﷺ وعلينا أن نحيى أمرهم الذى حاول الآخرون إماتته وأن ننتظر دولتهم دولة العدل الإلهى بقيادة الإمام المهدى عليه السلام وعجل الله فرجه الشريف والذى سيملأ الأرض قسطا وعدلا وأن نسعى جادين للتمهيد لتلك الدولة المباركة حتى نقرب من أيامها.

---

١ ـ (أخرجه ابن أبى شيبة ومسدد فى مسنديهما والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وأبو يعلى والطبرانى.